

كتاب تاريخ البطارقة باللغة العربية

د. صموئيل القس قزمان معوض



كتاب تاريخ البطارقة باللغة العربية

د. صموئيل القس قزمان معوض
قسم القبطيات – جامعة مونستر (ألمانيا)
samuelmo@uni-muenster.de

تحدثنا في المقال السابق عن كتاب تاريخ الكنيسة الذي وصلنا باللغة القبطية الصعيدية في شذرات، وذكرنا لمحة عن علاقته بكتاب ”سير البيعة“ المعروف باسم تاريخ البطارقة المدون باللغة العربية، ثم قدمنا ترجمة للجزء الثاني والأهم من النص القبطي الصعيدي^(١). وفي هذا المقال نود إلقاء الضوء على كتاب ”تاريخ البطارقة“، ومؤلفيه، ومراحل تأليفه، وعلاقته بالنص القبطي الصعيدي^(٢).

كتاب تاريخ البطارقة

يُعد كتاب ”سير البيعة“ أو ”تاريخ البطارقة“ أهم وثيقة مسيحية باللغة العربية تؤرخ للكنيسة القبطية على الإطلاق، فلم نعر حتى الآن على نص أو وثيقة عن تاريخ الكنيسة القبطية وبطارقتها وأحوالها أعم وأشمل من هذا النص، خاصة فيما يخص الفترة التي تلي دخول العرب مصر في القرن السابع الميلادي. يتميز كتاب تاريخ البطارقة بقدر كبير من الدقة والمصداقية في سرد الأحداث، خاصة أن الكثيرين من مؤلفيه كانوا شهوداً عياناً للكثير من الأحداث، بل إن بعضهم كان من الشخصيات الصانعة للأحداث ذاتها أو

^١ راجع للمؤلف، كتاب تاريخ الكنيسة باللغة القبطية الصعيدية، في: مجلة مدرسة الإسكندرية، السنة الثانية، العدد الثاني (مايو-أغسطس ٢٠١٠)، ص. ٢٠٩-٢٤٠.

^٢ كان الأب الدكتور وديع أبو الليف الفرنسيكاني المتخصص في الأدب العربي المسيحي قد نشر مقالاً هاماً عن هذا الموضوع بعنوان (مؤلفو سير البيعة من سير البيعة)، في مجلة ’صديق الكاهن‘، العدد ٤٥، ٤٦، عام ٢٠٠٥-٢٠٠٦، وأورد قائمة بمخطوطات النص، وطبعاته المختلفة، وتتبع مؤلفي ”تاريخ البطارقة“. وللأسف لم أطلع على مقاله إلا بعد الانتهاء من كتابة هذه السطور. فعلى من يريد مزيداً من دراسة هذا الموضوع الرجوع إلى مقال الأب الدكتور وديع الفرنسيكاني في المجلة المذكورة.

المشتركة فيها، أو كانوا على أقل تقدير قريبين من الشخصيات الفاعلة في تحريك أحداث تاريخ الكنيسة القبطية.

كتاب "تاريخ البطارقة" مقسم على بطارقة الإسكندرية من القديس مرقس الرسول إلى البابا كيرلس الخامس، أي من منتصف القرن الأول الميلادي إلى عام ١٩٢٧م، وهو لا يؤرخ فقط لتاريخ البطارقة، بل يتخذ من شخصية البطريرك نقطة محورية تدور حولها الأحداث، ثم يتطرق أيضاً لموضوعات متعلقة بالكنيسة مثل الشخصيات الكنسية الشهيرة المعاصرة لهذا البطريرك من الشهداء والرهبان والأساقفة وكبار اللاهوتيين والأراخنة. كذلك يذكر تاريخ البطارقة المشكلات المتعلقة بالشأن الكنسي، مثل الهرطقات والبدع والانشقاقات والاضطهادات، أو المتعلقة بالوطن والمجتمع المصري بوجه عام، مثل الحروب والغارات والأوبئة والمجاعات والاحتفالات الكبرى والظواهر الفلكية، وبالتالي فمضمون "تاريخ البطارقة" أعم وأشمل بكثير مما يوحي به عنوانه، ويجعل منه كتاباً لتاريخ الأمة المصرية وليس فقط لتاريخ الكنيسة القبطية.

الطباعات المختلفة للنص

نُشر النص العربي لكتاب تاريخ البطارقة في أكثر من طبعة، أهمها:

(١) النص الذي نشره Seybold عام ١٩١٢م عن أقدم نسخة لتاريخ البطارقة ترجع لعام ١٢٦٦م ومحفوفة في مكتبة مدينة هامبورج الألمانية^(٣). وهذه النسخة تضم تاريخ البطارقة من مار مرقس إلى البابا خائيل (ميخائيل) الأول (٧٤٤ - ٧٦٧) وهي تتميز باحتوائها على عبارات وملاحظات أُهْمِلت في النسخ المتأخرة عنها، كذلك يظهر في هذه النسخة اعتماد مترجمها عن القبطية على نُسخ متعددة، حيث إنه كثيراً ما يذكر في مناسبات متعددة عبارة "وفي نسخة أخرى"، مما يعطي لنسخة هامبورج أهمية كبيرة في دراسة

³ Ch. Seybold, *Severus ibn al Muqaffa', Alexandrinische Patriarchengeschichte von S. Marcus bis Michael I 61-767 nach der ältesten 1266 geschriebenen Hamburger Handschrift* (Veröffentlichungen aus der Hamburger Stadtbibliothek 3), Hamburg 1912.

تطور هذا النص، وما أهمله النساخ في عصور متأخرة. وسوف نشير دائماً إلى هذه النسخة باسم "نسخة هامبورج".

(٢) طبعة Evetts المنشورة في سلسلة 'كتابات الآباء الشرقيين' Patrologia Orientalis وقد بدأها عام ١٩٠٤م وحتى عام ١٩١٥م في أربعة أجزاء، ثم استكملتها جمعية الآثار القبطية بالقاهرة منذ عام ١٩٤٣م حتى عام ١٩٧٤م في ثلاثة مجلدات، معتبرة كل ما نشرته سلسلة 'كتابات الآباء الشرقيين' هو المجلد الأول في أربعة أجزاء، فبدأت جمعية الآثار القبطية أول مجلداتها على أنه الثاني وهكذا إلى الرابع^(٤). وهذه الطبعة هي الأكمل حتى اليوم.

^٤ في هذا المقال سنعتبر طبعة سلسلة 'كتابات الآباء الشرقيين' وطبعة جمعية الآثار القبطية هي طبعة واحدة للنص الكامل، حيث تكمل إحداهما الأخرى وذلك كالتالي:

تاريخ البطارقة، المجلد الأول، الجزء الأول = B. Evetts, *History of the Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria*, (Patrologia Orientalis 1), Paris 1904, pp. 99-214.

تاريخ البطارقة، المجلد الأول، الجزء الثاني = B. Evetts, *History of the Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria*, (Patrologia Orientalis 1), Paris 1904, pp. 381-518.

تاريخ البطارقة، المجلد الأول، الجزء الثالث = B. Evetts, *History of the Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria*, (Patrologia Orientalis 5), Paris 1910, pp. 3-215.

تاريخ البطارقة، المجلد الأول، الجزء الرابع = B. Evetts, *History of the Patriarchs of the Coptic Church of Alexandria*, (Patrologia Orientalis 10), Paris 1915, pp. 359-549.

تاريخ البطارقة، المجلد الثاني، الجزء الأول = تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين، المجلد الثاني، الجزء الأول، من البطريرك خايل الثاني إلى البطريرك شنوده الأول (٨٤٩-٨٨٠م)، قام على نشره يسى عبد المسيح وأزولد بورمستر (مطبوعات جمعية الآثار القبطية - قسم النصوص والوثائق)، القاهرة ١٩٤٣.

تاريخ البطارقة، المجلد الثاني، الجزء الثاني = تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين، المجلد الثاني، الجزء الثاني، من البطريرك خايل الثالث إلى البطريرك شنوده الثاني (٨٨٠-١٠٦٦م)، قام على نشره يسى عبد المسيح وعزيز سوريال عطية وأسولد برمستر (مطبوعات جمعية الآثار القبطية - قسم النصوص والوثائق)، القاهرة ١٩٤٨.

تاريخ البطارقة، المجلد الثاني، الجزء الثالث = تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين، المجلد الثاني، الجزء الثالث، من البطريرك خريسطودلوس إلى البطريرك ميخائيل (١٠٤٦-١١٠٢م)، قام على نشره يسى عبد المسيح وعزيز سوريال عطية وأسولد برمستر (مطبوعات جمعية الآثار القبطية - قسم النصوص والوثائق)، القاهرة ١٩٥٩.

تاريخ البطارقة، المجلد الثالث، الجزء الأول = تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين، المجلد الثالث، الجزء الأول، من البطريرك مقاره الثاني إلى البطريرك يوحنا الخامس (١١٠٢م-١١٦٧م)، قام على نشره أنطون خاطر وأسولد برمستر (مطبوعات جمعية الآثار القبطية - قسم النصوص والوثائق (١١)، القاهرة ١٩٦٨.

(٣) كذلك قام Seybold بنشر نصٍ آخر عن عدة مخطوطات أحدث من نسخة هامبورج في سلسلة 'النصوص المسيحية الشرقية' CSCO عام ١٩٠٤م، ويطلق على هذه الطبعة 'فولجاتا' وذلك لأنها أقل قيمة من الطبعتين الأخريين^(٥).

ولا يزال كتاب 'تاريخ البطاركة' يحتاج إلى دراسة مدققة وإلى نشرة علمية أدق وأشمل مما ظهر حتى الآن، بالإضافة إلى فهارس للأعلام والأماكن الجغرافية وغيرها، وهو عمل ضخم يحتاج إلى فريق عمل من المتخصصين في الأدب العربي المسيحي وتاريخ الكنيسة واللغة القبطية وآدابها، وإلى دعم مالي وفني لتوفير أكبر عدد من مخطوطات هذا النص الهام والمحفوظة في عدة مكتبات ومتاحف داخل مصر وخارجها^(٦).

هل الأنبا ساويرس بن المقفع هو مؤلف 'تاريخ البطاركة'؟

ظلت الآراء لفترة طويلة تردد أن مؤلف تاريخ البطاركة العربي هو الأنبا ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين في القرن العاشر الميلادي^(٧). وكانت هذه

تاريخ البطاركة، المجلد الثالث، الجزء الثاني = تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة لسواويرس بن المقفع أسقف الأشمونين، المجلد الثالث، الجزء الثاني، البطريرك مرقس الثالث والبطيريك يوحنا السادس (١١٦٧م-١٢١٦م)، قام على نشره أنطون خاطر وأزولد بورمستر (مطبوعات جمعية الآثار القبطية - قسم النصوص والوثائق ١٢)، القاهرة ١٩٧٠.

تاريخ البطاركة، المجلد الثالث، الجزء الثالث = تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة لسواويرس بن المقفع أسقف الأشمونين، المجلد الثالث، الجزء الثالث، من البطريرك كيرلس الثاني [كذاء، وصحتها الثالث] إلى البطريرك كيرلس الخامس (١٢٣٥م-١٨٩٥م)، قام على نشره أنطون خاطر وأزولد بورمستر (مطبوعات جمعية الآثار القبطية - قسم النصوص والوثائق ١٣)، القاهرة ١٩٧٠.

تاريخ البطاركة، المجلد الرابع، الجزء الأول والثاني = تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة لسواويرس بن المقفع أسقف الأشمونين، المجلد الرابع، كيرلس الثالث: ابن لقلق ١٢١٦-١٢٤٣ ميلادية، قام على نشره أنطون خاطر وأزولد بورمستر (مطبوعات جمعية الآثار القبطية - قسم النصوص والوثائق ١٤، ١٥)، القاهرة ١٩٧٤.

^٥ Ch. Seybold, *Severus ben el Moqaffa: Historia Patriarcharum Alexandrinorum* (Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium 52, Scriptorum Arabici 8), Paris 1904.

^٦ انظر قائمة بهذه المخطوطات في: وديع الفرنسيكاني، مؤلفو سير البيعة من سير البيعة، في: مجلة صديق الكاهن، العدد ٤٥ (٢٠٠٥)، ص ١٣-١٧.

^٧ لمزيد من التفاصيل عن حياة ومؤلفات الأنبا ساويرس بن المقفع، انظر الأب سمير خليل سمير، ساويرس بن المقفع (القرن العاشر الميلادي): كتاب مصباح العقل (التراث العربي المسيحي ١)، القاهرة ١٩٧٨، ص ٧-٣٦، ٦٥-٧١.

الآراء تستند إلى دليلين:

أولهما أنه ورد في قائمة مؤلفات ساويرس بن المقفع ”كتاب السير“^(٨)، مما جعل البعض يظن أن هذا الكتاب هو نفسه كتاب ”سير البيعة“ أو تاريخ البطارقة، ولكن كتاب السير المذكور ضمن مؤلفات ساويرس بن المقفع هو كتاب مفقود لم يُعثَر عليه حتى الآن.

ثانيهما أن مقدمة ”تاريخ البطارقة“ التي وُجِدَت في بعض النُسخ المتأخرة تنسب هذا العمل التاريخي لساويرس بن المقفع، ونصها هكذا:

”هذه السير جمعها واهتم بها من كل مكان الاب الجليل انبا سويرس بن المقفع اسقف الاشمونين ذكر انه جمعها من دير القديس ابي مقار ودير نهيا وغيرهما من الديارات وما وجده في ايدي النصارى منها اجزاء متفرقة“^(٩).

ولكن بعد هذا الاقتباس مباشرة، يقول كاتب نفس المقدمة:

”فلما جمعها اخوكم المسكين في هذا الكتاب الواحد بعد بحث واجتهاد، وهب الرب له مدة طويلة من العمر حتى وصل يوم ان كتب هذه السيرة واهتم بها ولم تكمل له الى كمال ثمنين سنة من عمره“^(١٠).

وهذا الاقتباس الأخير وغيره مما سيرد لاحقاً يدل على أن مؤلف تاريخ البطارقة ليس هو أنبا ساويرس، بل ليس مؤلفاً واحداً، ولكن عدة مؤلفين في عصور متفرقة. وربما اقتصر دور أنبا ساويرس على جمع سير البطارقة المتفرقة أو نسخها دون أن يترجمها أو يصيغها في كتاب مستقل. ومما يثير الانتباه أن نسخة هامبورج تشير في ثلاثة مواضع إلى ناسخ لتاريخ البطارقة يُسمَّى أبو البشر بن الحروف^(١١)، حيث تذكر ما نصه: ”وفي نسخة أخرى

^٨ تاريخ البطارقة، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ص ١٠٩. انظر أيضاً

S. Kh Samir, Un traité nouveau de Sawirus ibn al-Muqaffa: la lettre à Abū al-Yumn Quzmān ibn Mīnā, in: *Parole de l'Orient* 25 (2000), pp. 569-575.

^٩ تاريخ البطارقة، المجلد الأول، الجزء الأول، ص ١٠٦.

^{١٠} تاريخ البطارقة، المجلد الأول، الجزء الأول، ص ١٠٦-١٠٧.

^{١١} تاريخ البطارقة، نسخة هامبورج، ص ١٨، ٥٧، ٧١.

يخط أبو البشر بن الحروف نبح الله نفسه بدير نهياً“ أو ما شابه. وتشير بعض المراجع إلى أن ساويرس بن المقفع كان يُسمَّى قبل رسامته أسقفًا باسم أبو البشر أو أبو بشر^(١٢)، فهل يمكن أن يكون أبو البشر المقصود في نسخة هامبورج هو نفسه ساويرس بن المقفع؟ ستحتاج الإجابة قطعاً لمزيد من البحث والدراسة.

ومنذ فترة طويلة بدأ العلماء يتساءلون عن مدى صحة نسب هذا العمل الضخم إلى العلامة ساويرس بن المقفع، فعلى سبيل المثال يذكر العالم الألماني Georg Graf في إحدى حواشي كتابه *محاولة للإصلاح داخل الكنيسة القبطية في القرن الثاني عشر* المنشور في عام ١٩٢٣م أن كتاب ”تاريخ البطارقة“ في صورته الحالية يرجع إلى الشماس الإسكندراني موهوب بن منصور بن مفرج، ولكن دون أن يشكك Graf في نسب العمل الأول إلى الأنبا ساويرس بن المقفع^(١٣). أما الفضل الحقيقي في تتبع مؤلفي ”تاريخ البطارقة“ ومراحل جمع وتأليف هذا العمل فيرجع للدراسة العلمية الدقيقة التي نشرها العالم الهولندي Johannes den Heijer عام ١٩٨٩^(١٤)، ومنذ ذلك الحين أصبح من الثابت علمياً أن تاريخ البطارقة منسوب للشماس موهوب بن منصور بن مفرج وأكمله من بعده عددٌ كبير من المؤلفين المعروفين والمجهولين، وذلك كما سنوضح لاحقاً.

¹² F. Haase, *Altchristliche Kirchengeschichte nach orientalischen Quellen*, Leipzig 1925, p. 31; G. Graf, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur*, 5 vols. (Studi e Testi 118, 133, 146, 147, 172), Vatican City 1944–1953, vol. 2, p. 300; K.N. Khella, *Dioskoros I. von Alexandrien. Theologie und Kirchenpolitik*, Ph.D. diss., Kiel 1962, p. XXXI; F.R. Farag, *The Usage of the Early Islamic Terminology as a Constituent of the Literary Form of a Tenth-Century Christian Arab Writer: Severus ibn Al-Muqaff*, in: *Journal of the American Oriental Society* 99 (1979), p. 49a; S. Griffith, *The Kitāb Mibā al-Aql of Severus ibn al-Muqaffa: A Profile of the Christian Creed in Arabic in Tenth Century Egypt*, in: *Medieval Encounters* 2 (1996), p. 16.

انظر أيضاً سمير خليل، كتاب مصباح العقل (مرجع سابق)، ص ٩-١٠.

¹³ G. Graf, *Ein Reformversuch innerhalb der koptischen Kirche im Zwölften Jahrhundert* (Collectanea Hierosolymitana 2), Paderborn 1923, p. 2. n. 1.

¹⁴ J. den Heijer, *Mawhūb ibn Manūr ibn Mufarri et l'historiographie copto-arabe. Étude sur la composition de l'Histoire des Patriarches d'Alexandrie* (Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium 513, subsidia 83), Louvain 1989.

ومع القراءة المتأنية لكتاب "تاريخ البطارقة" نستطيع أن نتتبع أسماء مؤلفي هذا النص الهام من خلال ما ورد في النص نفسه من إشارات دونها مؤلفو النص. وبالرجوع لأقدم مخطوطات هذا النص، وهي النسخة المحفوظة في مدينة هامبورج الألمانية، والتي يعود تاريخها لعام ١٢٦٦م، نجد أنها تخلو تماماً من اسم الأسقف ساويرس، كما أنها تقدم بعض الملاحظات القيمة التي تغفلها النسخ المتأخرة.

مؤلفو "تاريخ البطارقة"

يعتمد كتاب تاريخ البطارقة في التأريخ لبطارقة القرون العشرة الأولى على نصوص قبطية قديمة تم جمعها - كما سنرى - في القرن الحادي عشر الميلادي وترجمتها إلى اللغة العربية. بعد ذلك بدأ التأريخ لسير البطارقة باللغة العربية مباشرة.

ومن هذه النصوص القبطية القديمة لم يصل إلينا سوى شذرات تتعلق بتاريخ الكنيسة القبطية حتى عام ٤٧٥م، وقد سبق الحديث عنها في العدد السابق من مجلة مدرسة الإسكندرية، وخالصة القول أن كاتب هذا النص القبطي لا يزال مجهولاً لنا، وإن كان البعض يعتقد أنه شخص يُدعى مينا، وربما اشترك في تأليف هذا الجزء أكثر من شخص على التوالي، قام كلٌ منهم بتدوين تاريخ الكنيسة في الفترة التي عاصرها.

وما وصلنا من هذا النص القبطي يؤكد أنه كان يتألف من اثني عشر كتاباً تنقسم إلى قسمين: القسم الأول يتألف من الكتب السبعة الأولى وتؤرخ لتاريخ الكنيسة القبطية حتى نهاية القرن الثالث الميلادي، وهي تستند إلى كتاب تاريخ الكنيسة ليوسابيوس أسقف قيصرية الذي انتهى من تأليف كتابه باللغة اليونانية عام ٣٢٤م. أما القسم الثاني فيستكمل تاريخ الكنيسة من البابا بطرس خاتم الشهداء إلى ما قبل نيافة البابا تيموثاوس الثاني بنحو عامين، أي من عام ٣٠٠م إلى ٤٧٥م.

وإلى جانب النص السابق اعتمد جامع "تاريخ البطارقة" على نصوص

أخرى، أغلبها باللغة القبطية، ليستكمل بها تاريخ مار مرقس وسيرة بعض البطارقة، وهي: (١) نص قبطي صعيدي عن البابا ديمتريوس الكرام منسوب لفلافيان أسقف أفسس، (٢) مديح باللغة القبطية الصعيدية والبحيرية على البابا بطرس خاتم الشهداء منسوب للبابا ألكسندروس الأول، (٣) كتاب تكريس هيكل البابا بنيامين باللغة القبطية البحرية مع ترجمة عربية، ونفس النص موجود في مخطوطات عربية عديدة، (٤) نص مفقود عن معجزة تخص الأرخن مقاره النبراوي في بلاط هارون الرشيد، (٥) نص باللغة اليونانية (ولغات أخرى) عن كهنوت المسيح، (٦) تاريخ البطريرك الملكاني سعيد بن بطريق المعروف باسم أوطيخا، (٧) نصاب يؤرخا لكراسة واستشهاد مار مرقس الرسول في مصر باللغة القبطية البحرية^(١٥).

والمقارنة التالية توضح اعتماد الجزء الأول من النص القبطي الصعيدي على كتاب تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري، وسوف نلاحظ من هذه المقارنة أن الترجمة من اليونانية إلى القبطية ليست ترجمة حرفية، بل تقدم لنا المعنى الإجمالي للمضمون.

تاريخ الكنيسة بالقبطية الصعيدية Paris B.N. 129 ¹⁴ , f. 92	يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ك ٤، ف ٧
وفي ذلك الزمان كان يوجد حشد من رجال الكنيسة يجاهدون عن الحق، أي رجال حكماء يكافحون من أجل إرادة كنيسة الرسل؛ لأنهم كانوا أمناء في كتاباتهم التي تركوها للآتين بعدهم مثل حصون، مظهرين	وكما كان يوجد في ذلك الوقت عدد كبير من أعضاء الكنيسة يناضلون من أجل الحق، ويدافعون عن التعاليم الرسولية الكنسية بفصاحة نادرة، كان هناك أيضاً من يمدون الأنسال - عن طريق كتاباتهم - بوسائل للدفاع

^{١٥} المصادر الستة الأولى أشار إليها Johannes den Heijer في المقال التالي:

J. den Heijer, Coptic Historiography in the Fāimid, Ayyūbid and Early Mamlūk Periods, in: *Medieval Encounters 2* (1996), pp. 73-76.

أما المصدر السابع فمنتشور في:

W. Hatch, Three Hitherto Unpublished Leaves from a Manuscript of the Acta Apostolorum Apocrypha in Bohairic, in: *Coptic Studies in Honor of Walter Ewing Crum* (Bulletin of the Byzantine Institute 2), Boston 1950, pp. 316-317; H. Evelyn-White, *The Monasteries of the Wadi 'n Natrun*, 3 vols., New York 1926-1933, Reprint New York 1973., vol. 1, pp. 46-47.

والنص الأول منهما يقابل ما ورد في تاريخ البطارقة، المجلد الأول، الجزء الأول، ص ٤٤ سطر ٤ إلى ص ٤٥ سطر ١، والنص الثاني يقابل ص ٤٧.

تاريخ الكنيسة بالقبطية الصعيدية Paris B.N. 129 ¹⁴ , f. 92	يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ك ٤، ف ٧
فيها هذه الهرطقات حتى نحفظ أنفسنا منها. وهكذا وصلت كتاباتهم إلينا بواسطة كُتّاب ذلك العصر، أي أغريباس كاستور الأكثر كفاءة، موبخاً باسيليديس، فاضحاً فداحة شعوذته ^(١٦) .	ضد تلك الهرطقات التي أشرنا إليها. ضمن هذه الكتابات دفاع قوي جداً ضد باسيليديس كتبه أغريباس كاستور، وهو أحد كتّاب ذلك العصر المشهورين جداً بيّن فيه حيل ذلك الشخص المروعة ^(١٦) .

غير أن النص القبطي، وإن كان يعتمد في أحيان كثيرة على يوسابيوس القيصري بشكل رئيسي، إلا إنه لا يلتزم به إلزاماً حرفياً كما رأينا في المقارنة السابقة، بل يصل الأمر أحياناً أنه يتجاهله تجاهلاً كلياً، خاصة إذا تعلق الأمر بهرطقة ما، حيث إن المؤرخ القبطي كان يميل إلى الإسهاب في الحديث عن شرور المهترقين، وكيف واجهتهم الكنيسة بقوة وتغلبت عليهم، وكيف كانت نهايتهم بشعة. ويبدو هنا أن المؤرخ القبطي كان يستعين بمصادر أخرى كانت مدونة على الأرجح باللغة القبطية. مثال على ذلك ما يتعلق بالهرطقة المانية (نسبة إلى ماني)، فنجد أن النص القبطي يختلف تماماً عما أورده يوسابيوس القيصري، فيضيف أحياناً لم يذكرها يوسابيوس إطلاقاً، ولكن نص تاريخ البطارقة العربي يقدم نصاً هو ترجمة للنص القبطي. وفي النهاية يعود النص القبطي، وبالتعبية أيضاً النص العربي، ليلتقي مرة ثانية مع نص يوسابيوس.

والمقارنة الآتية تقدم مثلاً للفرق الشاسع أحياناً بين النصين القبطي واليوناني، وتوضح من جهة أخرى التقارب الشديد بين النصين القبطي والعربي.

تاريخ البطارقة (نسخة هامبورج، ص ٣٦)	تاريخ الكنيسة بالصعيدية Paris B.N. 129 ¹⁴ , f. 96	يوسابيوس، تاريخ الكنيسة، ك ٧، ف ٣١ - ٣٢
فقال له الأسقف ارشيلالوس اذا انا رذلتك بقدر كذبك فانت	[...] فقال له (لماني) الأسقف ”إذا وبختك حسب	في هذا الوقت ظهر ذلك الرجل المجنون، واسمه أرشيلالوس: ”

^{١٦} يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ترجمة القمص مرقس داود، ط ٣، القاهرة: مكتبة المحبة ١٩٩٩، ص ١٥٥.

^{١٧} انظر النص القبطي في

D. Johnson, *Coptic Sources of the History of the Patriarchs of Alexandria*, Ph.D. diss., Catholic University of America, Washington 1974, p. 87-88.

تاريخ البطارقة (نسخة هامبورج، ص ٣٦)	تاريخ الكنيسة بالصعيدية Paris B.N. 129 ¹⁴ , f. 96	يوسابيوس، تاريخ الكنيسة، ك ٧، ف ٣١ - ٣٢
<p>تعترف لي بمقاتلتك هوذا انفذ واحضر اليك امة لا يعرفوا الله اله السما ليرذلوك من كلامك. وانفذ للوقت احضر حكيم وكاتب فلما حضروا امرهم بالجلوس. فقال لهما الاسقف انا اقول لكم كتبكم منها ما تقبلوه ومنها ما ترفضوه فاجابوا وقالوا ما نفعل هكذا بل نقبل جميع الكتب ومتى ميزنا بعض عن بعض فذلك اكتاب لا يستقيم لنا قراته ولا قبوله. فاجاب الاسقف وقال لهم هذا الانسان يفسر ويقول انه المسيح ويرفض باوامر المسيح. فاجابوه وقالوا ما نومن بهذا ولانقرب امرأ من اموره. فلما رأى الجمع كلامه المملوا تجديفاً وثبوا عليه ليقتلوه فممنهم من ذلك ارشيلالوس الاسقف وقال لهم الله يودبه عند اخرين وتناه من المدينة وقال له احذر ان تصاب في اعمالنا. فلما خرج اوا الى ضيعة فيها قس محب للغربا فاوى اليه واقام عنده شهر وبدي يقول له من اقاويله للقس فقال له القس لم اسمع انا بهذا الكلام قط لكن انا انفذ الى الاسقف ارشيلالوس ليسمع منك هذا القول فان قال هذا قول جيد قبلته. فلما سمع مانى اسم ارشيلالوس خاف لانه يعرف شجاعته وحكمة الله التي فيه. عند ذلك عاد الى بلاد الفرس</p>	<p>إثمك، فسوف تقول لي: أنت تحارب عن هرطقتك، ولكن انتظر وسوف أستدعى لك الوثنيين الذين لا يعرفون إله السماء لكى أجعلهم يوبخونك على كلامك". وهكذا أرسل في الحال إلى أحد السوفسطائيين، وجعلهم (أى الوثنيين) يجلسون. فقال لهم الأسقف: "وأنا أتكلم معكم، هل تقبلون جزءاً من كتب عقائدكم ولكنكم ترفضون الجزء الآخر ولا تقبلونه؟" أما هم فقالوا: "ليس الأمر هكذا. فيما أن نكون برأى واحد لكى نقبل الكتاب كله، أو إن كان لا فلا نقبل الكتاب أو نمسه مطلقاً". أما هو فأجاب قائلاً: "هذا الرجل يكرز قائلاً: أنا من أتباع المسيح، وقال لي: حيث إننا لا نؤمن به (بالمسيح)، لم نتجرأ أيضاً أن نلمسه أو نأمر بلمس كتاب واحد يخصه". ولما رأيت جموع المستمعين وقاحةً كلامه المقيت الذي يقوله، شرعوا في قتله. ولكن لم يدعهم الأسقف أرشيلالوس، قائلاً: "سوف يُنتقم منه بواسطة آخرين"، وطرده من المدينة، قائلاً (له): "لا تجعل أحداً يجدرك في أقاليمنا". ولكنه لما غادر ذلك المكان، أتى إلى قرية بها كاهن محب للناس (للغرباء)، فأقام عنده. ولما لبث مدة شهر، ابتداءً يضع عقائد الشر. فلما سمع</p>	<p>مشتق من هرطقته الجنونية، وحصن نفسه بقلب أوضاع عقله وتفكيره، كما أبرزه إبليس، الشيطان، عدو الله، لهلاك كثيرين. وقد كانت حياته وحشية في القول والفعل، وطبيعته شيطانية جنونية. ونتيجة لهذا تظاهر بموقف كموقف المسيح. وإذا انتمخ في جنونه نادى بنفسه بأنه البارقليط، الروح القدس نفسه. من ثم اقتدى بالمسيح فاختر اثني عشر تلميذاً كشركاء له في تعليمه الجديد، ومزج معاً تعاليم مزورة وكفرية، جمعها من بعض الآباء الإلحادية التي انقضت منذ عهد طويل، وبعث بها، كسموم قاتلة، من الفرس إلى هذا الجزء من العالم الذي نعيش فيه، وإليه يرجع ذلك الاسم البغيض (المانيكيون) الذي لا يزال سائداً بين الكثيرين. هذا هو أساس ذلك العلم الكاذب الاسم الذي برز وقتئذ.</p>

تاريخ البطارقة (نسخة هامبورج، ص ٣٦)	تاريخ الكنيسة بالصعيدية Paris B.N. 129 ¹⁴ , f. 96	يوسابيوس، تاريخ الكنيسة، ك ٧، ف ٣١ - ٣٢
<p>وهناك ايضا لزم اقواله المجدفة باسم البارقليط فحكم فيه البارقليط الحقيقي واسلمه الى ملك القرس سلخ جلده ورماه للوحش لانه انكر موت الابن الوحيد ثم انه بسحره هرب من السجن وقتلت من اجله حراس الحبس لهروبه وتفسير اسمه بالفارسية مانى المودب وتفسيره بلغة الصابا الشيطان كما ان تعليمه وكتبه شيطانه بقوله انه البارقليط ودفعه انه من الاثنا عشر تلميذ ولذلك ان ارشيلايوس رذله وقال هوذا المسيح اليوم ثلثماية سنة والبارقليط يحل في جميع البيع.</p>	<p>الكاهنُ الكلامُ الجديد (الغريب)، قال له: ”أنا لم أسمع هذا (الكلام) قط، ولكني سأرسل إلى الأب أرشيلايوس، وأجعله يستمع لك. وإذا قال أن هذا الكلام الذي تقوله جيد، فسوف نتعلمه نحن أيضاً“. فلما سمع مانى هذا (وسمع) اسم الأب أرشيلايوس، انزعج، عالماً اقتدار الرجل وحكمة الله التي فيه. وهكذا عاد إلى (بلاد) فارس، وصنع أيضاً هناك شروراً بالاسم العظيم الذي للبارقليط، ولكن البارقليط اقتصر لاسمه؛ لأنه اسلمه ليد ملك القرس، فسلخ جلده وألقاه للوحوش؛ لأنه صار سبباً لموت ابنه الوحيد، وصار مسؤولاً عن موت حُرَّاس السجن، هؤلاء الذين قُتِلوا بسببه؛ لأنه هرب من السجن. لأنه سمى نفسه ’مانى‘ الذي تفسيره ’المعلم‘ بحسب اللغة الفارسية، أما حسب (لغة) اليونانيين (فتفسيره) ’المجنون‘ أى الشيطان، كما أن أتباع هرطقته أيضاً شياطين، مثلما يقاومون الله، وقد صاروا شياطين لأناس كثيرين، فأحياناً هو البارقليط وأحياناً أخرى هو واحد من الاثني عشر رسولاً. وهكذا وبخه أرشيلايوس، قائلاً: ”إذا كنت أنت البارقليط، فقد تأخرت أكثر من ثلثمائة سنة عن بارقليط الله الذي أسس الكنائس“.</p>	<p>وإذ رأس الكنيسة في روما</p>

تاريخ البطاركة (نسخة هامبورج، ص ٣٦)	تاريخ الكنيسة بالصعيدية Paris B.N. 129 ¹⁴ , f. 96	يوسابيوس، تاريخ الكنيسة، ك ٧، ف ٣١ - ٣٢
بطرك رومية وجلس بعده اوطيخيانوس والذي اقام فيلكس في البطريركية خمسة سنين واقام اوطيخيانوس عشر شهور وتيخ. وجلس بعده غايس.	أسقف روما وأتى مكانه أوتيخوس (كذا). وكان فيلكس قد مكث خمس سنوات في الأسقفية، أما أوتيخيانوس فمكث عشرة أشهر ثم تتيخ، تاركاً الكرسي لغايس ^(١٩) .	وقتئذ فيلكس خمس سنوات خلفه أوتيخيانوس، ولكنه في أقل من عشرة شهور ترك المركز إلى كايس ^(١٨) .

وبالرغم من اعتماد تاريخ البطاركة على النص القبطي الصعيدى نلاحظ أن النص العربي يتجاهل ترجمة بعض الأحداث الواردة في النص القبطي، وهي في الغالب أحداث تتعلق بالكنايس الأخرى خارج مصر، ففي حين يتحدث النص القبطي بإسهاب، على سبيل المثال، عن قصة يوحنا ذهبي الفم ونفيه، وكذلك عن فيلبس أسقف المشرق وموظفي دمشق، يترك المترجم العربي كل هذا عن عمد وقصد، ولكنه ينوه عن ذلك في ترجمته، فيقول: "وذكر قصة يوحنا فم الذهب وبقية خبر دمشق فاستغني على ذكر ذلك مع غيره"^(٢٠). وربما يكون السبب الرئيسي في ذلك هو رغبة المترجم من القبطية إلى العربية في التركيز على تاريخ الكنيسة القبطية دون سواها.

بعد ذلك استمر تدوين تاريخ الكنيسة باللغة القبطية أيضاً، ولكن من دون الاعتماد على مصادر يونانية كالسابق، ولكن للأسف لم يصلنا الأصل القبطي، بل ترجمته العربية التي ترد في كتاب تاريخ البطاركة. وفي طيات هذه الترجمة يذكر المؤرخون الأقباط أحياناً كثيرة أسماء المؤرخين الأقدم الذين يترجمون عنهم. وهكذا نستطيع أن نعرف بطريق غير مباشر أسماء الكثيرين من هؤلاء المؤرخين.

بعد توقف النص القبطي الصعيدى السابق الذكر عند أحداث عام ٤٧٥م،

^{١٨} يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ص ٣٤٠-٣٤١.

^{١٩} انظر النص القبطي في D. Johnson, Coptic Sources, p. 93-96.

^{٢٠} تاريخ البطاركة، نسخة هامبورج، ص ٦٧.

يؤكد النص العربي لتاريخ البطارقة أن راهباً شماساً من دير القديس أنبا مقار يدعى ”جرجه“ أو ”مركه“، كان تلميذاً للبابا سيمون الأول (٦٨٩ - ٧٠١)، وعاصر خليفته البابا ألكسندروس الثاني (٧٠٥ - ٧٣٠)، هو الذي أكمل تدوين تاريخ الكنيسة (باللغة القبطية)، فيقول مؤرخ سيرة البابا خائيل (ميخائيل) الأول (٧٤٤ - ٧٦٧) ما يلي:

”وكلما جرى كُتِبَ به إلينا إلى ها هنا في ثاني عشر (اثنى عشرة) سيرة من سير البيعة، وبدء بكتُب ما بعد ذلك، من الأب كيرلس وهو في دير ابلاج يسلم عنها (يسأل عنه) - إلى الأب المعترف الاكسندرس (ألكسندروس) - المعلم والكاتب في زمانه، هو الشماس الأرشيدياقن، صاحب الأب بطيريك أنبا سوماون (سيمون) بطيريك الإسكندرية وكتابه، الراهب أنبا مركه. وكتب ذلك في جبل القديس بو مقار (أبو مقار) بوادي هبيب. وأعلمنا ما جرى في زمان مرقيان الكافر، وما لحق ابانا (آباءنا) من التعب، وما جاء بعدهم إلى زمان سليمان (سليمان) ملك المسلمين“^(٢١).

طبقاً لهذا الاقتباس فالشماس جرجه المقاري قام بتدوين تاريخ البطارقة من (أو بعد) البابا كيرلس الكبير حتى البابا ألكسندروس الثاني، أي حتى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك الأموي (٧١٥ - ٧١٧). يؤكد ذلك ما ورد في سيرة البابا ألكسندروس الثاني من قول المؤرخ: ”وبعد سنتين ملك نسطاسيوس إلى الآن، وهو زمان وضع هذه السيرة“^(٢٢). والمعروف أن أنسطاسيوس تولى حُكم الإمبراطورية البيزنطية من عام ٧١٣ حتى عام ٧١٥م، فعلى ذلك تم تأليف هذا الجزء من تاريخ البطارقة حوالي عام ٧١٤م.

ولكن إذا عقدنا مقارنة بين النصين القبطي والعربي تظهر لنا مشكلة، وهي أن النص القبطي الصعيدي يتحدث بإسهاب عن مجمع خلقيدونية ونفي البابا ديسقورس واستشهاد الأنبا مكاربوس أسقف إدكو (قاو) وسيرة البابا تيموثاوس الثاني ومؤلفاته، إلا أن النص العربي لتاريخ البطارقة لا يذكر

^{٢١} تاريخ البطارقة، نسخة هامبورج، ص ١٥٢.

^{٢٢} تاريخ البطارقة، نسخة هامبورج، ص ١٣٧.

شيئاً من ذلك، بل إن المترجم يذكر سطوراً قليلة عن تلك الفترة لا علاقة لها بالنص القبطي الصعيدي الذي وجدناه، وتوحي بأنه لم يجد شيئاً مدوناً عن تلك الفترة في النصوص القبطية التي ينقل عنها:

وجعل بعد نياحة الطوياني انبا كيرلس البطرك القديس ديسقورس بطريركا على كرسي مدينة الاسكندرية ولقي من الجهاد على الأمانة المستقيمة شدايد صعبة من مرقيان الملك المخالف ومن زوجته بلخارية ونفوه عن الكرسي بتحامل اهل مجمع خلقيدونية ... كانت عادة الاوائل ان يكتبوا سير المتقدمين في كل جيل ... بعد ذلك كتب افريقنوس واوساويوس ومينا كل التجارب والجهادات التي نال الرعاة والشعوب إلى انبا كيرلس البطرك الحكيم وما جرى بينهم وبين نسطور وما لقيه الاب ديسقورس البطريرك بعده في مجمع خلقيدونية ثم افترقت الامانة الارثوذكسية والكراسي حتى انه لم يبق من يكتب سيرة وانقطع ذلك والرب دايم الى الابد .^(٢٣)

فمن الواضح أن محرر تاريخ البطاركة قد اعتمد على نص قبطي آخر لتاريخ الكنيسة يتوقف عند سيرة البابا كيرلس، وليس عند عام ٤٧٥م، ولم يجد شيئاً عن البابا ديسقورس ليترجمه. ولكي يستكمل المؤرخ هذه الفترة الناقصة الخاصة بالبابا ديسقورس قرر الاستعانة بسيرة البابا ديسقورس التي كان ينوي نساختها (أو ترجمتها) من نسخة كانت موجودة في مكتبة دير أنبا مقار، فيقول:

وقد فرغ ان نكتب سيرته الكاملة المفسرة من ورتاكي (مكتبة) القديس ابو مقار في الكتاب المتضمن سيرته وسير كلستينوس بطريرك رومية والقديس ابو مقار الاسقف وعدة سير .^(٢٤)

وما يؤكد هذا التخمين أن سيرة البابا تيموثاوس، خليفة البابا ديسقورس، وردت أيضاً في تاريخ البطاركة مقتضبة (ثلاثة أسطر)، على الرغم من أن النص القبطي قد ذكره بإسهاب، وتكلم عن مؤلفاته، واقتبس

^{٢٣} تاريخ البطاركة، نسخة هامبورج، ص ٧٥.

^{٢٤} تاريخ البطاركة، نسخة هامبورج، ص ٧٥.

منها، وتحدث عن علاقته بالبطيريك المملكاني المعاصر له، والذي كان يدعى أيضاً تيموثاوس. كل ذلك يدل على أنه كان يوجد نصان قبطيان، الأول يتوقف عند نياحة البابا كيرلس، وهو النص الذي اعتمد عليه محرر تاريخ البطارقة، والنص الثاني، والذي قدمنا له ترجمة في مقالنا بالعدد السابق، يمتد ليؤرخ للبطارقة حتى عودة البابا تيموثاوس من المنفى عام ٤٧٥م.

الجزء التالي من تاريخ الكنيسة ألفه شخص يُدعى يوحنا، كان تلميذاً للأنبا يوحنا أسقف أوسيم. وقام يوحنا هذا باستكمال عمل سابقه، فسجل بقية تاريخ البابا ألكسندروس الثاني، ثم تاريخ البابا قزمان الأول (٧٣٠ - ٧٣١)، والبابا ثيودورس (٧٣١ - ٧٤٣)، والبابا خائيل (ميخائيل) الأول (٧٤٤ - ٧٦٧) الذي كان معاصراً للمؤلف، فيقول:

”منجل (من أجل) ذلك، أنا البائس الحقيير الخاطئ ... لما نظرت ما كتبته بعيني، وكثرته جاز علي، ولمسته بيدي، وما سمعته من الإخوة الآباء الأحباء قبلي ممن يُصدّق ويؤمن إليه ... شرحت ما كان إلى حين نياحة الأب الطوباني تاوضورس بطيريك الإسكندرية والمملكة التي كانت في أيامه في تمام السادس عشر (الست عشرة) سيرة المذكورة آنفاً. والآن، فبإرادة الله وصلواتكم المقدسة، نبدأ نذكر السابع عشر سيرة (السيرة السابعة عشر)“^(٢٥).

وكان يوحنا شاهد عيان على كثير من الأحداث بحكم ملازمته لأسقف أوسيم، فيقول على سبيل المثال: ”كما شاهدناه بأعيننا دفعات شتى، وكان يصحب الاب البطيريك ابي الروحاني انبا مسيس (مويسيس) الاسقف حتى يجتمع به، وكان الملك يحب ابي اكثر من الاساقمة ... فلما حضرنا عنده دفعة كالعادة ...“^(٢٦).

بعد ذلك أُرْخ رَاهِب آخر يُدعى أيضاً يوحنا، كان معاصراً للبابا شنوده الأول (٨٥٨ - ٨٨٠)، للجزء التالي من تاريخ البطارقة، وهذا الجزء يشمل تاريخ

^{٢٥} تاريخ البطارقة، نسخة هامبورج، ص ١٥٢-١٥٣.

^{٢٦} تاريخ البطارقة، نسخة هامبورج، ص ١٥٣.

الكنيسة منذ عهد البابا مينا الأول (٧٦٧ - ٧٧٤) وحتى عام ٨٦٦م في حبرية البابا شنودة الأول. ويذكر يوحنا هذا قصة تدوينه لتاريخ الكنيسة كما يلي:

”وأنا الفقير أُلزِمْتُ من أبي الراهب بمنام رآه؛ لأنه كان شيخاً قديساً، فتقدم إليّ وأمرني أن أكتب سيرة آبائي الطوبانيين، وما شاهدته ونقلته (نقله) لي قوم ثقات، وكنت خادماً لأبي أبا يوسف، وعند رجله أنام، وهو الأب الروحاني الذي طعن في السن، وكذلك الأب البطريرك أبا شنوده. فسألت الرب الكريم، وقلت كما قال داود: يارب افتح شفتي حتى أقصص ما جرى على الآباء المغبوطين، ربحاً لمن قرأه، وشجاعة لمن سمعه“^(٢٧).

كذلك يذكر المؤلف بداية تدوينه لهذه السير عام ٥٨٢ للشهداء، الموافق لعام ٨٦٦م، فيقول: ”هذه السنة التي كتبنا فيها هذه السيرة، وهي سنة اثنين وثمانين وخمسمائة للشهداء الأطنهار“^(٢٨). وكثير من الأحداث التي دونها المؤلف قد عاصرها وشهدها بنفسه، فيقول: ”أقول لكم، أنا الخاطي البائس كاتب هذه السيرة، أنني رأيت بعيني ذلك“^(٢٩).

وفي عام ١٠٥١م قام الأنبا ميخائيل أسقف تانيس بوضع الجزء الخامس من تاريخ الكنيسة. وهذا الجزء يبدأ بحبرية البابا خائيل (ميخائيل) الثالث (٨٨٠ - ٩٠٧) وينتهي ببناء البابا شنوده الثاني (١٠٣٢ - ١٠٤٦)، ويشهد هو نفسه بذلك، فيقول:

”إن من الواجب، يا أحيائي، لأجل المحبة المسيحية، أن نسطر ما أُخِرَ تسطيره مما كان في البيعة الأرثوذكسية، الذي شاهده وعرفه أولئك الرعاة في كل جيل، وكانوا خُدماً للكلمة. وطلبت من الله سبحانه إعانة ضعفي، أنا البائس الخاطيء، لأبتدأ وأجعل لساني الناقص قلماً سريع الكتابة، لكيما يتحرك بموهبة الروح القدس، فأكتب ما سمعته وعرفته من الصادقين الذي يُقبَل قولهم، ونسلك منهاج من تقدمنا، الذين نالوا النعمة؛ لأن هذا الأمر قد خطر

^{٢٧} تاريخ البطركية، المجلد الأول، الجزء الرابع، ص ٣٦٠.

^{٢٨} تاريخ البطركية، المجلد الثاني، الجزء الأول، ص ٣١.

^{٢٩} تاريخ البطركية، المجلد الثاني، الجزء الأول، ص ٢٢-٢٣.

ببالي أن أكمله ... ووجدت الذي تضمنته السير الذي (التي) رتبها الآباء القديسين بقوة الروح القدس هو ما جرت عليه البيعة من زمان الأب القديس الإنجيلي ماري مرقص البكر الطاهر الشهيد، وإلى زمان أنبا سانوتيوس (شنوده)، وهو الخامس والخمسين، المرسوم بطريركاً بعد أنبا قسما (قزمان) ... ومن بعده إلى زمان أنبا سانوتيوس الخامس والستون، الذي وسمني، أنا الغير مستحق، قساً، لم يُكْتَبْ شيءٌ من السير، فكتبت، أنا البائس ميخائيل، ذلك بمعونة الله سبحانه (سبحانه) لي^(٣٠).

وفي نهاية هذا الجزء يكتب الأنبا ميخائيل، خاتماً كلماته هكذا:

”أنا البائس ميخائيل الدمراوي، الذي قسمني الأب أنبا زخارياس شماساً، وجعلني أنبا شنوده قساً، وصيرني أنبا إخرسطودولوس أسقفًا على مدينة تيس وأعمالها، بغير استحقاق مني لهذه الرتبة الجليلة. وكملت هذه السيرة في اليوم الخامس والعشرين من بشنس سنة سبع مائة سبعة وستين للشهداء الأبرار، بقدر ما وصلت معرفتي إليه، ليكون تذكاري لي عند من يقرأه“^(٣١).

وهذا التاريخ المذكور يوافق العشرين من مايو عام ١٠٥١م. كذلك ورد في سيرة أنبا خرستودولوس عن الأنبا ميخائيل أسقف تانيس ما سبق أن ذكره هو عن نفسه من تدوينه لجزء من تاريخ البطارقة:

”وبعد هذه الأيام قسم الاب انبا اخرسطودولوس كاتب له يُعْرَفُ بأنبا ميخائيل أسقف على كرسي تيس، وكان فاضل عالم وهو الذي كتب سيرة عشرة بطارقة أولهم خيال الثلثة (الثالث) وآخرهم شنوده“^(٣٢).

بعد ذلك قام الشماس الإسكندراني موهوب بن منصور بن مفرج في عام ١٠٨٨م بجمع كل الأجزاء السابقة من الأديرة القبطية، بالإضافة إلى مصادر أخرى، وترجمها إلى اللغة العربية، بمساعدة الشماس ميخائيل بن بدير الدمهوري، ثم بدأ بعد ذلك بتدوين سيرة البابا خرستودولوس (١٠٤٧ - ١٠٧٧)

^{٣٠} تاريخ البطارقة، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ص ٦٩-٧٠.

^{٣١} تاريخ البطارقة، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ص ١٥٩.

^{٣٢} تاريخ البطارقة، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص. ١٧١-١٧٢.

والبابا كيرلس الثاني (١٠٧٨ - ١٠٩٢) المعاصرين له، وذلك باللغة العربية مباشرة. ومن المفيد هنا أن نستعرض بالتفصيل ما يرويه موهوب بن منصور نفسه، شارحاً الخطوات التي مرَّ بها هذا العمل حتى تم له ذلك:

”قال موهوب ابن منصور ابن مفرج الإسكندراني الشماس: إنه لما كان من تقدم من السلف الأخيار، رزقنا الله بركتهم، قد اهتم وكتب سيرة البيعة ورتبها، وشرح أمور البطارقة على كرسي البشير ماري مرقص الإنجيلي بالإسكندرية، وما جرى لهم ... أشتهيت، أنا الخاطئ البائس، أن أجمع سيرهم وأكتبهم ليكون ذلك ربحاً لي ولن يقرأها بعدي، فاستعنت بالله تعالى ذكره، وصرت (سرت) إلى دير القديس أبو مقار بوادي هبيب المقدس، فوجدت الشماس أبا حبيب ميخائيل ابن بدير الدمنهوري. وكان هناك الأب أنبا كيرلس ومعه ثلاثة (ثلاثة) أساقفة ... وذلك في برمهات سنة ثمان مائة وأربعة للشهداء (= ١٠٨٨ م) ... وهي السنة العاشرة من بطركيته (بطريركيته) ... وتحدث (وتحدثت) مع الشماس أبو حبيب الدمنهوري المقدم ذكره فيما عوّلت عليه من جمّع سير البطارقة، فاتفق رأينا على البحث عنها وطلبها حيث ما كانت، فوجدنا في دير السيدة بنهيا منها سيرة اثنين وأربعين بطرك (بطريركاً)، من ماري مرقس الإنجيلي إلى سيمون، ووجدنا في دير الشهيد الجليل تادرس على المنهى بابلاج سيرة أربعة بطارقة، من الأكسندروس إلى خايال (خائيل)، وهو تمام ستة وأربعين بطرك، ووجدنا في دير نهيا أيضاً سيرة تسعة بطارقة، من أنبا مينا إلى شنوده، وهو تمام خمسة وخمسون بطركاً، ووجدنا في دير أبو مقار سيرة عشرة بطارقة، من خايال (خائيل) السادس والخمسون إلى سانوتيوس الخامس والستون، كتبها أنبا ميخائيل أسقف تيس، وهي بخط لقوط الراهب ولده. فلما كملت لي هذه السير، ونسختها بخطي، وصارت عندي بالإسكندرية، وجب الآن أن أبدأ وأشرح ما يتلو ذلك، وهي سيرة الأب القديس أبا اخرسطوذولس البطرك ومَن جلس بعده، وجعلتها بمقتضى سياقة عدد السنين التي قبلها“^(٣٣).

وفي مواضع عديدة يذكر موهوب معاينته للأحداث التي يقصها، ومعرفته الشخصية بمن يكتب عنهم، وكيف كان يستقي معلوماته عن أحداث لم

^{٣٣} تاريخ البطارقة، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ص ١٥٩-١٦١.

يكن شاهد عيان لها أو عن أشخاص لا يعرفهم، فيعلق على بعض الأمور التي تخص البابا خرستوذولوس المعاصر له، فيقول: ”كما حدثني الأب أنبا خرستوذولوس بعد بطركيته (بطريركيته)“^(٣٤)، وفي مرة أخرى يقول: ”وسمعت، أنا موهوب الخاطئ، من فم هذا الأب“^(٣٥)، وفي موضع آخر: ”وحكى لي لوقاس شماس كنيسة السيدة بارمنت“^(٣٦). كذلك يذكر الشماس الذي ساعده في نسخ وترجمة سير البطارقة السابقين عليه من القبطية إلى العربية، فيقول: ”الشماس ابو حبيب ميخائيل ابن بدير مساعدي على نسخ السير وتفسيرها من القبطي الى العربي“^(٣٧).

وفي مواضع عديدة يتحدث موهوب عن أبيه وخاله وأخيه، مما يعطي الانطباع أنه كان من أسرة لها شأن في الوسط القبطي في مدينة الإسكندرية، حتى أن أقباط الإسكندرية كانوا يريدون نقل رأس مار مرقس إلى بيت أبيه، فيقول موهوب:

”رأس القديس مرقس الإنجيلي كان في دار أبو يحيى زكريا الذي قدمنا ذكره، فلما مرض واشتد وجعه جا (جاء) إلى والدي عشرة من النصارى ... فمضى معهم إلى الرجل فوجده ينازع فأخذوا الصندوق الذي فيه الرأس وحملوه إلى دار جبريل ابن قزمان ... فلما كان بالليل حملوه إلى دار والدي“^(٣٨)

ثم يستطرد قائلاً:

”وكان يظهر لنا من رأس القديس مرقس لما أخذته عندي عجائب عظيمة منها أن أخي أبو العلا نوح الله نفسه كان قد شك فيه وقال في قلبه أترى هذه رأس القديس ماري مرقس أم لا ولم يعلم ذلك إلا الله تعالى، فلما نمت تلك الليلة ظهر لي القديس ماري مرقس وقال لي أخوك فهد قد شك في فلما أصبحت أعلمت

^{٣٤} تاريخ البطارقة، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص ١٦٤.

^{٣٥} تاريخ البطارقة، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص ١٦٥.

^{٣٦} تاريخ البطارقة، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص ١٨٦.

^{٣٧} تاريخ البطارقة، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص ١٨٦.

^{٣٨} تاريخ البطارقة، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص ١٧٤.

أخي بذلك وكنا في بيعة أبو سرجه أنا وهو وخالي صدقه ابن سرور^(٣٩).

ويقول في موضع آخر: "الأمير المويد حصن الدولة أبو تراب حيدر ابن ميروا الكتامي الدمشقي والي الاسكندرية ... أحضرنى أنا الخاطي وخالي صدقه ابن سرور لأننا كنا نخدمه في مهماته"^(٤٠).

وبعد الشماس موهوب الإسكندراني قام يوحنا بن صاعد بن يحيى المعروف بابن القلزمي باستكمال تدوين سير البطاركة، فوضع سيرة البطريرك خائيل (ميخائيل) الرابع (١٠٩٢ - ١١٠٢) ومقاره الثاني (١١٠٢ - ١١٢٨) كما يروي هو ذلك بنفسه، فيقول:

"قال يوحنا ابن صاعد بن يحيى ابن مينا المعروف بابن القلزمي الكاتب اني لما اكملت نسخ جميع ما وضعه الابا القديسين المتقدمين من سير البيعة المقدسة وهي ستة وعشرون سيرة وما جرى فيها للابا البطاركة بالاسكندرية وهم سبعة وستين بطركاً اولهم مرقس الانجيلي واخرهم ابا كيرلص الثاني القديس الروحاني، وجعلت ذلك في ثلاثة (ثلاثة) اجزا، الجزء الاول سبعة عشر سيرة لسته واربعين بطرك اولهم مرقس الانجيلي واخرهم انبا خيال الاول، والجزء الثاني خمسة سير اولها السيرة الثامنة عشر واخرها الثانية والعشرين واخبار تسعة بطاركة اولهم انبا مينا واخرهم اثناسيوس، والجزء الثالث الذي فيه هذه الكراسية من جملة اثني وعشرين كراس وما قبلها الى اخر الكراس اربعة سير واخبار اثني عشر بطركاً اولهم خيال الثالث واخرهم ابا كيرلص الثاني القديس الروحاني البطريرك وهو تمام سبعة وستين بطركاً منهم من رايته وسمعت كلامه وحضرت قداساته وتحدثت معه بطركين وهم انبا ارسطودولوس وانبا كيرلص نيح الله نفوسهما ورزقني بركة صلواتهما، شكرت الله تعالى على ما انعم به علي من وجود هذه السير ومعونته لي جل اسمه على نسخها بكاملها، ووجب علي ان اكتب واشرح سير من رايته بعد انبا كيرلص البطريرك نيح الله نفسه الطاهرة الى حين كتب هذا المسطور وهو انبا مقاره، والتجيت الى رحمته تعالى ومعونته وتوفيقه كما الفت من احسانه وجعلتها على مقتضى السير التي

^{٣٩} تاريخ البطاركة، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص ١٨١.

^{٤٠} تاريخ البطاركة، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص ١٧٨.

قبلها،^(٤١).

بعد ذلك قام البطريق مرقس بن زرعه (١١٦٧ - ١١٨٩) بتدوين سيرة ثلاثة من أسلافه البطارقة، وهم: غبريال بن تريك (١١٣١ - ١١٤٥)، وخائيل (ميخائيل) الخامس (١١٤٥ - ١١٤٦)، ويوحنا الخامس (١١٤٧ - ١١٦٧)؛ ففي سيرة غبريال بن تريك يرد اسمه هكذا: "وذكر مؤلف هذه السيرة وهو الابن مرقس ابن زرعه"^(٤٢). وفي سيرة البابا خائيل الخامس يرد اسمه مرة أخرى: "قال الابن الجليل انبا مرقس ابن زرعه البطرك مؤلف هذه السيرة وناظمها"^(٤٣).

أما سيرة البطريق مرقس بن زرعه نفسه وجزء من سيرة خليفته يوحنا السادس (١١٨٩ - ١٢١٦) فدونهاها كاتب مجهول عام ١٢٠٧م، فهذا الكاتب يتحدث عن تدوينه لهذه الأحداث وتأكيد على كونه شاهداً عياناً لها دون أن يُفصِّح لنا عن اسمه، فيقول في بداية سيرة البطريق مرقس بن زرعه:

"لما اكملنا بمعونة الله لنا ما نقلناه عن اسلافنا واباونا الاولون خلف بعد سلف من السادة الصالحين والاوليا المخلصين والصفوة المحقين ... عدنا بالبحث عن سيرة النجباء المختارين للرياسة المسيحية والديانة الالهية والرعاية الفاضلة والامور الكاملة فابتدانا بما شاهدناه في عصرنا وراينا في زماننا وهو ما نخبركم بي في هذه السيرة"^(٤٤).

وفي مواضع أخرى يحدثنا هذا الكاتب المجهول كيف أنه استقى بعض معلوماته عن الأحداث التي لم يعاصرها أو يراها بنفسه من بعض الثقات أو ممن لهم صلة بالأحداث والشخصيات الهامة، فيذكر على سبيل المثال عن وزراء الدولة الفاطمية: "انما اخبرنا القريب من اسلافنا باسماء بعضهم ممن

^{٤١} تاريخ البطارقة، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص ٢٣٢-٢٣٣.

^{٤٢} تاريخ البطارقة، المجلد الثالث، الجزء الأول، ص ٢٦.

^{٤٣} تاريخ البطارقة، المجلد الثالث، الجزء الأول، ص ٣٧.

^{٤٤} تاريخ البطارقة، المجلد الثالث، الجزء الثاني، ص ٥٩.

شاهدوه^(٤٥)، وعن معلوماته عن البطريق وأصله يقول: ”وقد كنت انا المسكين ناظم هذه السيرة تحدث (تحدثت) مع ابن عم هذا البطرك وقلت له اين مبراكم واصولكم فقال من اهل الشام ... وانا المسكين ناظم هذه السيرة رايت هذا الاب قبل تقدمته وكنت ساكنا بجواره بمدينة مصر^(٤٦). وفي نهاية تدوينه لما سطره من سيرة البابا يوحنا السادس يقول:

”وسطرنا هذه السيرة والاب البطرك رزقنا الله بركة صلاته حي في شوال سنة ثلاثة وستماية الهلالية الموافقة للنصف من بشنس سنة ثلث وعشرين وتسعمائة للشهدا الابرار (= ١٢٠٧م) صلواتهم تحفظنا واياكم وكتب معاي (معي) ابن ابوا (أبو) المكارم ابن بركات ابن ابوا (أبو) العلا بخطه لنفسه فمن ادرك نياحت (نياحة) الاب يوحنا وعرف شي تجدد في ايامه فليذكره ويتم به سيرته^(٤٧).

بعد ذلك، وفي عام ١٢٢١م، قام شخص آخر لم يذكر أيضاً اسمه بإكمال تدوين سير البطاركة منذ أن توقف الكاتب السابق عام ١٢٠٧م، فيقول:

”ولما فسح الله جلت قدرته وعظمته لاخوكم المهتم بهذه السيرة المقدسة الذي اجهد نفسه في طلبها من كل مكان وجمعها وكتبها بخطه لنفسه في الحياة ادرك في ايام هذا الاب الجليل قضية جرت في ايامه وقد ذكر بعض ابهاتنا من الشيوخ انه كان جرى مثلها في ايام من تقدمه من البطاركة^(٤٨).

وكل ما نعرفه عن هذا الكاتب المجهول أنه من مدينة المحلة، فيقول: ”انما ضمنا هذه السيرة ما نقلناه ممن تقدمنا من اسلافنا وما وصل الى علمنا بسماع الاخبار من ثقات شيوخنا الى مدينة المحلة بحكم سكننا فيها ومقامنا

^{٤٥} تاريخ البطاركة، المجلد الثالث، الجزء الثاني، ص ٦٠.

^{٤٦} تاريخ البطاركة، المجلد الثالث، الجزء الثاني، ص ٦١.

^{٤٧} تاريخ البطاركة، المجلد الثالث، الجزء الثاني، ص ١٠٩.

^{٤٨} تاريخ البطاركة، المجلد الثالث، الجزء الثاني، ص ١٠٩.

بها،^(٤٩)، ثم يعود فيكمل:

”أنا اذكر ما وصل الى علمي فيها في المواضع الذي انتهى اليها في هذه السيرة ومدة مقام الكرسي بغير بطرك ... ولما طال الزمان خفت ان اموت ولم اشرح ذلك وقد امهلني الله حتى سمعته وعلمت وابصرة (وابصرته) فاكون كاني قد منعت نفسي تذكارة رحمة الله ويخلت على غيري بها فقدمت خيرة الله وسالته المعونة لي على ذلك ... وقد كنت ذكرة (ذكرت) في اخر سيرة انبا يونس البطرك انه تتيح يوم الجمعة الثاني عشر من طوبه سنة تسع مائة اثنين وتلثين للشهدا الاطهار الموافق للسادس عشر من رمضان سنة اثني عشر وستماية وابتديت انا في كتابة هذه السيرة يوم الاثنين السابع عشر من برمودة سنة سبع وتلثين وتسع مائة (= ١٢ أبريل ١٢٢١م) ... وبقي الكرسي خال بغير بطرك من يوم نياحته الى يوم تسطير هذه السيرة“^(٥٠).

أما سيرة البطريرك كيرلس الثالث المعروف بابن لقلق (١٢٣٥ - ١٢٤٣) فهي أطول سيرة مدونة في تاريخ البطارقة، ولا تُورخ فقط لتاريخ هذا البطريرك، بل هي تقدم تأريخاً مسهباً لأحداث هذه الفترة كنسياً وسياسياً واجتماعياً، ومن حسن الحظ أن هذه السيرة احتفظت لنا باسم كاتبها، وهو يوحنا بن وهب بن يوحنا بن يحيى بن بولس^(٥١)، والذي أكد في كثير من الوقائع التي كان يسردها أنه كان شاهداً عياناً لهذه الأحداث، بل كان من أهل الحل والعقد في المسائل، حتى أنه عندما أراد السلطان الملك الكامل الأيوبي أن يجتمع بممثلين عن الأقباط من القاهرة ومصر القديمة كان يوحنا هذا أحد الممثلين عن أقباط مصر القديمة^(٥٢). كذلك هو الذي كتب تقليد البطريرك كيرلس بن لقلق وأطلق عليه هذا الاسم، فيقول:

”فقررت نسخة التقليد عربياً واسميته انبا كيرلس وبيضتها ونقلوها الى القبطي

^{٤٩} تاريخ البطارقة، المجلد الثالث، الجزء الثاني، ص ١٢١.

^{٥٠} تاريخ البطارقة، المجلد الثالث، الجزء الثاني، ص ١٢١-١٢٢.

^{٥١} تاريخ البطارقة، المجلد الرابع، الجزء الأول، ص ٣.

^{٥٢} تاريخ البطارقة، المجلد الرابع، الجزء الأول، ص ١٣.

وحررت نسخه القبطي عليها وفصلت الثياب والفقافير واحضر كرسي كان من
مقدم الزمان برسم البطاركة وجلي واحضرت العكاكيز واشترت
الدواب،^(٥٣).

كما أن مؤلف هذه السيرة كان حاضراً عندما صلى البطريرك الجديد
القداس في كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل في راس الخليج وذلك بعد عودته
من الإسكندرية، فيقول:

”واقام البطريرك المذكور بالإسكندرية ... وجاء يوم السبت الى كنيسة ميخائيل
راس الخليج بمصر وفيها لقبته انا الحقيير وسلمت عليه واخذت بركته ... وقرى
الانجيل المعروف للبطاركة وهو الذي فيه انا هو الراعي الصالح وهو من يوحنا
وفسرتة انا الخاطي عليه،^(٥٤).

بعد سيرة البابا كيرلس الثالث (ابن لقلق) ترد سير بقية البطاركة،
باستثناء سيرة البطريرك متاؤس الأول (١٣٧٨ - ١٤٠٨)، مختصرة للغاية لا
يتعدى بعضها بضعة أسطر، ولا تقدم لنا سوى معلومات شحيحة عن تاريخ
الكنيسة في تلك الفترة، وكان السبب في ذلك هو نهاية العصر الذهبي للأدب
العربي المسيحي للأقباط بحلول القرن الخامس عشر الميلادي أو قبل ذلك بعدة
عقود، ولا سيما في العصر العثماني الذي يمثل العصر المظلم في تاريخ مصر
بوجه عام والكنيسة القبطية بوجه خاص، فأهمل تدوين تاريخ البطاركة وما
يتصل به من أحداث كنسية ووطنية، وساد الجهل بين الإكليروس والرهبان
والعلمانيين حتى بدأ عصر النهضة من جديد في القرن التاسع عشر، وبالأخص
في حبرية البابا كيرلس الرابع المعروف بأبي الإصلاح (١٨٥٤ - ١٨٦١).

والجدول الآتي يقدم ملخصاً لمؤلفي تاريخ البطاركة ومراحل تأليفه حتى
القرن الثالث عشر الميلادي.

^{٥٣} تاريخ البطاركة، المجلد الرابع، الجزء الأول، ص ١٤.

^{٥٤} تاريخ البطاركة، المجلد الرابع، الجزء الأول، ص ٦٧.

المؤرخ / زمن التاريخ	البطارقة
عدة مؤلفين مجهولين آخرهم حوالي ٤٧٥م	مار مرقس إلى تيموثاوس الثاني (ت ٤٧٧م)
الراهب جرجه المقاري حوالي ٧١٤/٧١٥م	كيرلس/ديسقورس (ت ٤٥٤م) إلى ألكسندروس الثاني (ت ٧٣٠م)
يوحنا	ألكسندروس الثاني إلى خائيل الأول (ت ٧٦٧م)
يوحنا (الأخر) ٨٦٦م	ميخائيل الثالث (ت ٧٧٤م) إلى شنودة الأول (ت ٨٨٠م)
ميخائيل أسقف تانيس ١٠٥١م	خائيل الثالث (ت ٩٠٧م) إلى شنودة الثاني (ت ١٠٤٦م)
موهوب بن منصور بن مفرج ١٠٨٨م	خرستوذولوس (ت ١٠٧٧م) إلى كيرلس الثاني (ت ١٠٩٢م)
يوحنا بن صاعد القلزمي	خائيل الرابع (ت ١١٠٢م) إلى مقاره الثاني (ت ١١٢٨م)
البابا مرقس بن زرعه	غبريال بن تريك (ت ١١٤٥م) إلى يوحنا الخامس (ت ١١٦٧م)
مجهول ١٢٠٧م	مرقس بن زرعه (ت ١١٨٩م) إلى يوحنا السادس (ت ١٢١٦م)
مجهول من المحلة ١٢٢١م	بقية سيرة يوحنا السادس إلى عام ١٢٢١م
يوحنا بن وهب	كيرلس بن لقلق (ت ١٢٤٣م)

كان هذا عرضاً موجزاً لما يتعلق بكتاب "تاريخ البطارقة"، أهم وأشمل نص يؤرخ لتاريخ الكنيسة القبطية، تطرقنا فيه بوجه خاص لمؤلفي هذا العمل التاريخي الضخم من خلال قراءة النص نفسه، أكدنا فيه على أن هذا النص ليس من وضع مؤلف واحد، بل تعاقب على تأليفه عدة كتّاب في عصور مختلفة، كما أوضحنا أن الجزء الأول منه، والذي يشمل تاريخ الكنيسة القبطية في القرون العشرة الأولى، ما هو إلا ترجمة لنصوص قبطية تعاقب على وضعها أيضاً عدة مؤلفين، ثم جُمعت هذه النصوص القبطية وتُرجمت بتصرف إلى اللغة العربية على يد الشماس الإسكندراني موهوب بن منصور بن مفرج ومساعدته ميخائيل بن بدير الدمنهوري، ثم استأنف موهوب وغيره في عصور لاحقة العمل في تدوين تاريخ البطارقة حتى مطلع القرن العشرين.